# في المدينة الحرمة

**رحلة التداعي في هذه القصيدة تجري بين شارع اوكسفورد في لندن وسوق العطارين في نابلس ، وتبدأ عند اشارة الضوء الاحمر وتنتهي عند اشارة الضوء الاخضر .**

وتلقفني في المدينة هذي الشوارع والارصفة
مع الناس ، يجرفني مدها البشري ، أموج
مع الموج فيها ، على السطح أبقى بغير تماس .
ويكتسح المد هذي الشوارع والارصفة
وجوه وجوه وجوه وجوه ، تموج على السطح ،
يقطن فيها اليباس ، وتبقى بغير تماس .
هنا الاقتراب بغير اقتراب
هنا اللاحضور حضور ، ولا شيء الا حضور الغياب
ويحمر ضوء الاشارة والمد يرتد
تعود الخفافيش للذاكره
ونصف مزنجرة تعبر السوق ، أفسح فيه مكانا
لتعبر ، اني تعلمت الا أعرقل خط المرور ..
وعن ظهر قلب حفظت دروس نظام المرور ..
هنا كان سوق النخاسة ، باعوا هنا والدي واهلي،
فقد جاء وقت سمعنا الذي منع الرق والبيع
نادى على الحر : من يشترى !
وهذي أنا اليوم جزء من الصفقة الرابحه
أمارس حمل الخطيئة .. معصيتي انني غرسة
أطلعتها جبال فلسطين ، من مات امس استراح
( أشك لعل بقاياهمو في القبور تئن وتلعنني
حين افسح في السوق دربا لتعبر نصف
مزنجرة ثم امضى بغير اكتراث )
رسالة عائشة تستريح على مكتبي
ونابلس هادئة والحياة تسير وتجري كماء النهر
يبادلني خاتم السجن صمتا فصيحا ،
يقول لها حارس السجن ان الشجر
تساقط والغابة اليوم لا تشتعل
ولكن عائشة ما تزال تصر على القول ان الشجر
كثيف ومنتصب كالقلاع ، وتحلم بالغابة التي تركتها
تؤج بنيرانها قبل خمس سنين
وتسمع في الحلم زمجرة الريح بين المعابر
تقول لسجانها : لا أصدق ، كيف أصدق من جاء من
صلبهم ؟
تظلون يا حارسي أنبياء الكذب
وتقبع في ظلمة السجن تحلم ، يحضنها الشجر
المنتصب
وتفرحها غابة في البعيد تصلصل فيها سيوف اللهب!

ويخضر ضوء الاشارة ، يجرفني المد ، تهرب ذاكرتي،
والخفافيش تهوي الى قعر بئر غميقة
يغير ظل طريقه
يتابع ظلي ، يوازيه ، يمتد جسر : لعلك مثلي غريبة؟
وتنفصل القطرتان عن المد ثم تغيبان بين زوايا حديقه

ـ تحبين « أوزبورن »
ـ ومن لا يحبه ؟
ـ عجائز انكلترا المحبطون وضباطها الآفلون مع الشمس
غرب السويس
ـ ترى من سيزرعها شجرة الغد
لهذا البلد ؟
ـ شباب الهيبيز ...
ـ لاذع انت لاذع ..
ويجتازنا سيلهم وهو يجرف تربة لندن
ونسمع صوت انهياراتها على وقع دقات «بج بن»
ـ هنالك في العاصفة الجانبية حانوت خمر
وفي النزل ذوق وتدفئة مركزية
ـ سدى ما تحاول
( وتعبر سيدة لندنية
تبث وتشكو الى كلبها وخز عرق النسا
والتهاب المفاصل )
ـ سدى ما تحاول
ـ الست ابنة العصر ؟
ـ كبرت على الطيش ، صيرني الحزن بنت مئات السنين
وارفع عن كتفي ذراعيه ، أفلت خارج طوق التواصل
ـ تحاصرني وحدتي
ـ كلنا في حصار التوحد .
وحيدون نحن ، نمارس لعبة هذي الحياة وحيدين نحزن ،
نألم ، نشقى وحيدين
نموت وحيدين ،
وحيدا تظل ولو حضنتك مئات النساء ..
. . . .
وتلقفنا في المدينة هذي الشوارع والارصفة
مع الناس ، يجرفنا مدها البشري ، نموج مع الموج
فيها ، نظل على السطح فيها ، ونبقى بغير تماس (*) .

**فدوى طوقان**

---

**(١) جون اوزبورن من ابرز كتاب المسرح المعاصر في انكلترا وصاحب الصيحة الغاضبة : لعنة الله عليك يا انكلترا . وفي مسرحيته الاخيرة ( غرب السويس ) يرسم اوزبورن صورة رمزية للامبراطورية التي انهارت وغربت عنها الشمس ، والسويس هنا هي الحد الذي فصل انكلترا عن حضارة مضت بينما هي الان عاجزة عن اللحاق بحضارة آتية .**

**(*) من ديوان كابوس الليل والنهار » الذي يصدر قريبا عن دار الآداب .**